بطولة الفرد / الشعب في الواقع.

من هنا نلمس ان الانتفاضة فرضت على الاعمال الادبية، بنصوصها المتنوّعة (شعر ورواية وقصة، الخ)، الاقتراب، او التعامل مع الخطاب السياسي المباشر، الذي نما في النص على حساب بنية الخطاب الابداعي ذاتها، وذلك في محاولة من المبدع الانخراط في فعل الواقع وتجلياته الوطنية، كتعويض، أو شعور بالمشاركة.

وهذا الاقتراب، أو التعامل مع الخطاب السياسي، حدَّ من قدرة الخطاب الابداعي الذي يرسم تفاصيله على نحو غير محدّد في الزمانية، وتجربة المكان أيضاً. من هنا جاء تقمّص المبدع لأدوار شرائح الناس المختلفة، المشاركة في صنع فعاليات الانتفاضة (الولد، والشاب، ورامي الحجارة، والمعتقل، والجريح، وتلميذ المدرسَة، والطفل، الخ). وهذا الانسياق نحو تقمّص شخصيات الانتفاضة فرض على المبدع، وعلى نصّه، على السواء، صيغة الخطاب التصويري المباشر الذي يتأرجح بين السردية والوصفية المنمّقة، ممّا حسر من اضافاته الى الواقع كعمل ابداعي، بل ربما على العكس حاول اللحاق بهذا الواقع وتصويره على نحو وسم ابداع الانتفاضة بصيغة الخطاب التصويري المباشر في معظم الاعمال الادبية لكتاب فلسطين المحتلة في العام ١٩٤٨.

ولما له من خصوصية تتطابق مع هذا المنهج، سعى أدب الاراضي المحتلة العام ١٩٤٨ الى مواصلة طريقه في رسم، وتصوير، الحالة الواقعية للانتفاضة، وفعل المقاومة فيها على الارض. فنجد ان جلّ الاعمال الادبية هناك حافظ على سماته الاساسية، مثل التشبّث بالارض ومقاومة الاحتلال والتصدي لمخططاته، بل وأضاف الى ذلك بعداً جديداً هو التغنّي بالانتفاضة كفعل صمود بطولي وصل حدّ القداسة، وهذا جاء كنتيجة طبيعية لهذا التشبّث وهذه المقاومة، فبدأت الاعمال الادبية بالتوغّل في رسم أدق تفاصيل الواقع لأناس الانتفاضة، وحياتهم، ومعاناتهم، ومقاومتهم الباسلة، عبر الخطاب المباشر، الذي اقترب، أكثر فأكثر، من الواقع، حتى لتخاله طالعاً من غباره وحجارته.

على ان مثل هذا التوغّل في رسم تفاصيل الواقع بشقيه واقع الانتفاضة واناسها وواقع الاحتلال العسكري والنفسي منه، كشف عن حالة انسانية راقية كانت خبيئة في هذا الادب، عرّت مقولات الاحتلال الاسرائيلي، الادبية والسياسية، التي كانت تتستّر وراء عقدة الاضطهاد اليهودي ليرى نفسه وجهاً لوجه مع الضحية التي كانها يوماً من الايام على أيدي النازيين، من جهة، ويرى نفسه، أيضاً، وجهاً لوجه مع القاتل النازي الذي اختبأ في أعماقه لسنين طويلة.

الانتفاضة في الشعر

منذ انطلاقتها، بدت الانتفاضة حدثاً مفاجئاً للانواع الادبية كافة، ومنها الشعر. وعلى اعتبار ان الشعر يحفل بطاقة فعل وردّ فعل كثيفة وسريعة في آن، فقد كان الاسبق في محاولات التعبير عن الانتفاضة وتفاصيلها اليومية. ولو حصر المرء ما كتب من شعر عن الانتفاضة، منذ اندلاعها في التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، حتى الآن، لوجد كمّاً يوازي ما كتب من أشعار وطنية على مدار عشر سنوات من عمر القضية الفلسطينية على الاقل. وهذه الكثافة الشعرية أتت كردّ فعل سريع على حدث كان أشبه بصرخة ثقبت اصداؤها آذاننا، وما زالت تتردّد في كل اتجاه.

وفي ساحة فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨، وقف الشعر، منذ الايام الاولى لاندلاع الانتفاضة، معبّراً عن طموحات وآمال الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال واقامة الدولة الفلسطينية